Umm Al-Qura Univ. J. Eng.& Arch. Vol. 1, No.1, pp. 31-61 (2009) *29-01-002 © The University Press*

التراث الإسلامي في البيئة العمرانية التقليدية في أميركا الهيسبانية

هشام بن علي مرتضى

قسم العمارة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية

Islamic Heritage in the Urban Environmental of Hispanic America

Abstract

Escaping the dominance of Spanish Christian kings, a large number of Mudejar and Morisco, groups of Muslims and Christians of Spanish origin, migrated to the new world, Americas, during the era of discovering America by Christopher Columbus and his followers in the fifteenth century. Those immigrants brought with them their Islamic heritage, knowledge, and building skills. This was significantly reflected in the built environment that started to emerge there. This paper investigates the influence of Islamic tradition in this newly built environment in terms of ornamentation, architectural form, and open space, which resembled those existed in the old Islamic world of that time, Spain in particular.

تضمنت المجموعات البشرية التي رافقت رحلات الاستكشاف الإسبانية للعالم الجديد أعداد كبيرة من المسلمين اللذين هربوا أعقاب اكتمال سقوط الأندلس في القرن الخامس عشر الميلادي، ونقل هؤلاء معهم ثقافتهم الإسلامية وعلومهم ومهاراتهم خاصة في مجال العمران إلى هناك، الأمر الذي انعكس على البيئة المبنية التي بدأت تظهر في العالم الجديد، أميركا، ويمكن تحديد ملامح تأثير التراث الإسلامي في خصائص تلك البيئة من حيث الزخارف والشكل المعماري والفراغات الخارجية التي تشابه إلى حد كبير تلك التي كانت موجودة في العالم الإسلامي القديم ، خاصة الأندلس.

كلمات الفهرسة: مدجر، العمارة الأندلسية، أميركا الجنوبية، الإسلام وأميركا الجنوبية، العمارة الإسلامية.

مقدمة

قبل وصول المستعمر الإسباني إلى الأمريكيتين، وبالتحديد في نهاية القرن الخامس عشر، كانت إسبانيا قد أنهت الفصول الأخيرة من وجود الحكم الإسلامي عليها. وعلى الرغم من إهمال المؤرخين لحقيقة انتقال أو هروب الكثير من المجموعات البشرية ذات الأصول الإسلامية الأندلسية من إسبانيا إلى العالم الجديد أو إسبانيا الجديدة المعروفة باسم Hispanic America (أميركا الهيسبانية). إلا أن الدليل الواضح لانتقال الحضاري الإسلامي الأندلسي إلى الأمريكيتين يتجلى في الخصائص المعمارية للبيئة المبنية التقليدية في أميركا الهسبانية.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن هوية وخصائص النمط المعماري الذي انتقل من الأندلس وساد فيما بعد أجزاء واسعة من العالم الجديد، أميركا، حيث يبدأ باستعراض النواحي التاريخية التي أعقبت سقوط الأندلس وأدت إلى ظهور شريحة من المسلمين أطلق عليهم اسم المدجر أو المدجن. ويلي ذلك تحليل لكيفية ظهور هذا النمط المعماري الفريد والخاص بهذه الشريحة وانتشاره في الأندلس أثناء حكم ملوك الإسبان النصارى قبل انتقاله إلى أميركا. ثم يتطرق البحث إلى كيفية انتقال هذا النمط إلى أميركا الإسبانية (أو الهيسبانية) ومواصفاته فيها، مدعوما بأمثلة لمباني مختلفة شيدت مابين القرون السادس عشر والثامن عشر في بعض دول أميركا الجنوبية. ويختتم البحث

بسرد الوسائل التي تتبعها هذه الدول للحفاظ على هذا النمط المعماري النادر وإحيائه بعد حقبة زمنية من إخفاء حقيقة أصوله الإسلامية وإهماله. وينوه الباحث هنا إلى أن الدراسة تتضمن تفاصيل لأحداث تاريخية قبل انتقال المسلمين (أو المدجر) إلى أميركا وبعده. وهذا التفصيل مهم حيث أن عمارة المدجر وخصائصها هي نتاج تلك الأحداث. ولا يمكن مناقشة مثلا زخارف إسلامية في مبنى أو كنيسة بالمكسيك دون التطرق إلى شرح الناحية التاريخية لكيفية وصول هذه الزخارف إلى هناك. كما أن بعض الأحداث التي يتناولها البحث تعتبر شبه غامضة أو غير معروفة لبعض الباحثين في العالم العربي كونها منشورة في مراجع باللغة الإسبانية، وبعضها موجود في بعض دول أميركا الجنوبية التي زارها الباحث عدة مرات مابين ٢٠٠٢-٢٠٠٧، فإلقاء الضوء على هذه الأحداث وباللغة العربية قد يفسح المجال لمزيد من الأبحاث في هذا الموضوع.

ظهور المدجنين

لقد استغرق سقوط الأندلس حوالي ٧٠٠ سنة ابتداء بسقوط برشلونة في عام ٨٠١م وانتهاء بسقوط غرناطة التي تم تسليمها في عام ١٤٩٢م إلى الملك النصراني فرديناند الخامس والملكة إيزابيلا من الملك الصغير محمد الحادي عشر بن علي الملقب بالغالب بالله (جدول ١)(الشكل ١). وصاحب هذا السقوط هيمنة مسيحية ذات طابع عنصري على إسبانيا تضمنت في البدء خطة لتعايش سلمي بين المسيحيين والمسلمين، الأمر الذي أدى إلى ظهور طبقتين من التعريف الديني للسكان المسلمين المحليين: الموريسكو Morisco أو Cristianas Nuevo أو المسيحيون الجدد وهم المسلمون الذين تحولوا سلميا أو بالقوة إلى المسيحية، لكن بقوا مسلمين بالممارسة، و المدجر Mudejar وهي مأخوذة من الكلمة العربية مدجن، وهم المسلمون الذين لم يعتنقوا المسيحية لكنهم بقوا كتابعين للملوك المسيحيين (Diccionario de la lengua, 1992)، وسمح لهم بالبقاء في المناطق المسيحية، أو الذين تركوا أو تخلفوا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر اللذين ازدهر خلالهما نمط المدجر وثقافتهم، وسخر لخدمة ملوك إسبانيا ونبلائهم المسحيين. ويطلق على هؤلاء أحيانا اسم "دومينا" أو domena أو domesticated أو domenados أي المروَّضون (Musulmanes, 2007 و Lunde, Art, 1992).

وحسب تعريف خالد السويدان، فالمدجنون اسم أطلق على المسلمين الذين آثروا البقاء في أوطانهم القديمة واستسلموا إلى العيش في حكم النصارى. وكانت بلنسية Valencia تأوي الكثير من هؤلاء الذين أتوا من البلدان الأخرى حيث تجمع فيها ما يقرب الثلاثين ألفا رأوا أن يقوموا بثورة لاكتساب بعض الحقوق الإنسانية لهم كحق حرية العقيدة، واحتلوا بعض الحصون بالقرب من منطقة بلنسية وتقدموا نحوها حتى كادوا أن يدخلوها عام ١٦٥٢م. وكانت هذه المنطقة تابعة لمملكة اراغون وليون ويحكمها ملك يدعى جانوم أو حايميش الذي أمر أن يخرج كل مدجن من مملكته، فخرج الجميع نحو غرناطة تاركين ديارهم وأموالهم. كذلك فعل ابنه بطره (بدرو) الذي اتصل بالمدجنين وعاهدهم على أن يرفع الظلم عنهم إلا انه انقض عليهم ووزعهم عبيدا بين قرى مدينة بلنسية.

وفي أوقات لاحقة وفي مختلف أنحاء الأندلس أصدر ملوك الإسبان القرارات والقوانين لإيقاع الظلم على المسلمين والقضاء عليهم، ومن ضمن هذه القوانين "عدم تسمية المسلمين الموجدين في إسبانيا بمسلمين وإنما بالمدجنين". ويشير السويدان إلى أن بعض السلطات النصرانية، على ما قامت به من تنكيل ضد المسلمين، لم تعمد لإخراج المدجنين من مناطقها بسبب رئيسي إلا وهو تمتع هؤلاء المدجنين بمهارات في أمور الحياة الاقتصادية

والإدارية والصناعية والتجارية والعمرانية التي كانت المجموعات النصرانية محرومة منها. لذلك أبقي هؤلاء للاستفادة منهم (السويدان، ٢٠٠٦).

جدول (١): الأحداث التاريخية التي مرت بها الأندلس وارتباطها بظهور المدجر وهروب بعضهم إلى العالم الجديد

التاريخ	الحدث
٧١١م	دخول المسلمين إلى جزيرة ايبريا
٧٥٦م	سقوط دمشق وانتهاء الخلافة الأموية في المشرق
٧١١-٧٥٦م	حكام بني أمية في الأندلس
٧٥٦-٩٧٦م	إمارة قرطبة الأموية
٨٠١م	سقوط برشلونة بيد الملوك النصارى
١٠٣١-١٠٨٦م	ملوك الطوائف
١٠٨٥م	سقوط طليطلة (بداية ظهور المدجر)
١٠٨٨-١٢٣٢م	المرابطين والموحدين (عاصمتهم اشبيلية)
١١١٨م	سقوط سرقسطة
١٢٣٦م	سقوط قرطبة
١٢٤٨م	سقوط اشبيلية
١٢٣٨-١٤٩٢م	دولة بني الأحمر في غرناطة
١٤٩٢م	سقوط غرناطة
١٤٩٢-١٥١٨م	كولمبوس واكتشافه للعالم الجديد (جزر الكاريبي، وكوبا، والدومنيكان، وجنوبي شرق الولايات المتحدة، وخليج المكسيك)
١٥١٨-١٥٢٤م	اكتشاف المكسيك واستعمارها
١٥٢٨-١٥٣٤م	اكتشاف بيرو واستعمارها
١٥٣٣-١٥٤٢م	التعمق داخل الولايات المتحدة
١٦١٠-١٦١٤م	اكتمال خروج المسلمين من الأندلس نتيجة صدور عفو عام عنهم شريطة رحيلهم (على الرغم من ذلك بقي بعض من المدجر)

وبسقوط غرناطة في عام ١٤٩٢م، أمعن ملوك النصارى في التنكيل بالمسلمين من خلال وضع قوانين تعسفية مثل منع المساجد والصلاة، وحظر اللباس العربي، وتحريم اللغة العربية، ومن ينطق بها كان يقتل، هذا بالإضافة إلى تحريم قراءه القرآن، وحظر الاغتسال (منعاً للوضوء) وحرق كل نسخ القرآن الكريم، وقتل كل من يقتني نسخة منه، وتغيير أسماء المسلمين، بل تعميدهم وتحويلهم إلى النصرانية بالقوة(الشكل ٢). وتم تأسيس هيئات كنسية وحكومية سميت بمحاكم التفتيش للكشف عن المسلمين الذي يكتمون الإسلام ويظهرون خلاف ذلك، وبلغت حصيلة ضحايا هذه المحاكم ما يقارب ثلاثة ملايين نسمة (السويدان، ٢٠٠٦)، ويكشف الباحث علي مظهر في كتابه

"محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال" حوادث وحشية لطرق تعذيب المسلمين الذين كانوا يقتادون بالآلاف إلى ما كان يعرف بحفلات الحرق في مختلف أنحاء إسبانيا (الشكل ٣)، دع عنك المذابح التي كانت بالمئات ومستهدفة المسلمين. وقد أكتشف الفرنسيون الذين احتلوا مجريط أو مدريد في عام ١٨٠٩م أقبية تحت الكنائس مليئة بجثث مسلمين تم حبسهم فيها لعشرات السنين، واستمر التنكيل بالمسلمين حتى بداية القرن العشرين حين تم اكتشاف مقابر جماعية في عديد من المدن الإسبانية ككونيكا وآلات تعذيب وسحق العظام و فرم الأجساد (مظهر، ١٩٣٠).

وعلى الرغم من التعذيب والتطهير العرقي، كانت تظهر هناك بعض الثورات من بعض المدجنين الأندلس كتلك الثورة التي قام بها فرديناندو دي كودوبا الذي كان من سلالة بني أمية واسمه الحقيقي محمد بن أميه، إلا أن هذه الثورات كانت تجابه من النصارى بالحرق والسجن والطرد. وقد بلغ عدد المسلمين المدجنين الذين تم اكتشافهم وطردهم بعد سقوط غرناطة حتى عام ١٦١٠م، وهو العام الذي صدر فيه عفو عام عن المسلمين المتخفين شريطة أن يرحلوا عن الأندلس، حوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون(الشكل ٤). وعلى الرغم من كل هذا فقد بقي بعض المسلمين المتخفيين الذين كانوا يشكلون منظمات سرية تم اكتشافها والقضاء عليها.



الشكل (١): استسلام غرناطة لفرديناند وإيزابيلا، ١٤٩٢م (Wheatcroft, 2003)



الشكل (٢): تعميد المسلمين بالإكراه (مظهر، ١٩٣٠م)



الشكل (٣): مواكب المسلمين إلى حفلات الحرق التي كانت تعد لهم في غرناطة (مظهر، ١٩٣٠م)



الشكل (٤): بواخر المسلمين التي كانت تعد للهروب من الأندلس (السويدان، ٢٠٠٦م)

ظهور نمط المدجن المعماري والفني في الأندلس

ظهر نمط المدجر Mudejar المعماري عند بداية هيمنة الملوك الإسبان على مدن الأندلس تدريجيا. وكانت بدايتـه عند سقوط طليطلة وتلا ذلك انتشاره في المدن المسيحية والإسلامية الأخرى في الأندلس مثل غرناطة. وقد ذكر أنه في عام ١٤٢٠م كان هناك حوالي ٢٠٠ مدجر يعيشون ويعملون في إشبيلية التي أضحت بيد النصارى، كمعلمين أو

عرفاء بناء (alarifes باللغة الإسبانية) ونجارين وزجاجيين و فخارين ومدربين للعمال غير المسلمين، واستمر هذا الحال حتى بداية اكتشاف العالم الجديد.

وهذا النمط، المدجر، وبرغم تشابهه الشديد مع النمط المعماري الإسلامي الأندلسي، كما سنرى لاحقا، كان نتاج صراع سياسي وعسكري و إيديولوجي طويل بين المسلمين والنصارى للسيطرة على شبه جزيرة أيبيريا، تلك الفترة التي أطلق عليها المؤرخون اسم Reconquista أو "حقبة الاسترداد". وحسب رأي بعض المؤرخين المعماريين، يعكس هذا النمط عدم قدرة الإسبان على مواجهة الحضارة الإسلامية في إسبانيا أو اقتلاع جذورها منها، تلك الحضارة التي كان عمرها ٩٠٠ سنة، الأمر الذي يجعلها أقدم من حضارة النصارى الإسبان والتي يبلغ عمرها حتى تاريخه حوالي ٤٠٠-٥٠٠ سنة منذ سقوط غرناطة في عام ١٤٩٢م.

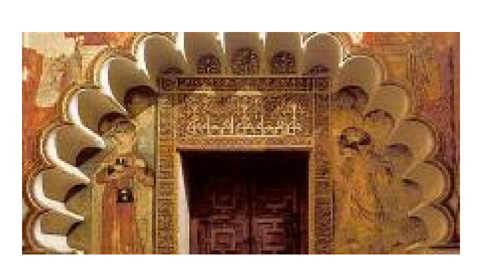
تمثل العمارة الأندلسية الإسلامية وبناء المدن فكر الأمويين على أن التمدن هو عامل جوهري في مسلسل الأسلمة الذي اتبعوه في الأندلس (أينامور، ٢٠٠٤). لذا نجد أن هناك ترابطاً ثقافياً وسياسياً بين الفكر المعماري المدجر والأندلسي الذي ساد بلاد الشام أثناء حقبة بني أمية. فقد كانت دمشق مصدر إلهام لثقافة الأندلس/المدجر في مدن غرناطة وإشبيلية وشمالي المغرب كفاس والقيروان ومراكش. على الرغم من سيطرة العباسيين على دمشق ومحاولتهم القضاء على ذلك الفن، فقد كانت دمشق معقل الأمويين في الشرق من عام ٦٦٠-٧٥٠م وقرطبة معقل الأمويين في الغرب من عام ٧٥٦-١٠٣١م. ويقول المؤرخ ج. مارتوينسيز غراس G. Martuinez Grass إن قرطبة أعادت الروح التي فقدتها دمشق نتيجة خضوعها للعباسيين، لكن في الجزء المقابل من البحر المتوسط، والتشابه بين المدينتين كان واضحاً للغاية (كينتارد، ٢٠٠٤).

ونمط المدجر هو في الواقع استمرار للتراث المعماري الإسلامي الأندلسي القديم على الرغم من مزجه لاحقا بتناغم فريد مع أنماط معمارية ظهرت فيما بعد في القرنين السابع عشر والثامن عشر مثل الرومانيسك والقوطي والرنيسنس والباروك، ويسمي بعض الباحثين هذا النمط بالنمط الإسلامي الأندلسي الحديث الذي شاع في جنوبي إسبانيا ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، ونقله المستعمرون الإسبان للأمريكيتين في القرن الخامس عشر (Irving, 1969). وقد حرص ملوك إسبانيا المسيحيين على تطبيق هذا النمط في قصورهم لأنه، وحسب اعتقادهم، يعكس القوة والفخامة والثراء الذي تمتع به المسلمون القدامى في مدينة الزهراء وقصر الحمراء مثلاً (Fernandez, 1993). لذلك كان إعجابهم وتقديرهم لهذا الفن في المدن التي احتلوها شديد إلى درجة قيامهم باستخدامه في قصورهم ومبانيهم الجديدة، كما أن العناصر والزخارف الإسلامية لهذا النمط كانت هي السائدة والمألوفة لدى السكان الذين عاشوا مئات السنين في ظل حكم المسلمين، لذلك كان من الصعوبة استبداله بنمط حديث مثل القوطي الذي كان في أوائل ظهوره في أوربا آنذاك. كذلك الأمر بالنسبة للكتابة العربية حيث إنها وعلى الرغم من تحريمها وتدمير جميع الكتب العربية، استمرت كعنصر أساسي في زخرفة المباني في المناطق المسيحية، ويقال إن ملوك النصارى تعمدوا استخدام نمط المدجر ليعبروا عن سلطتهم على المسلمين الذين أصبحوا أقلية ورغبتهم في احتوائهم وفرض هيمنتهم عليهم (Lunde, Art, 1992). لذلك ظهر هذا النمط كفن تعبيري يمثل ترجمة فعلية للفن الزخرفي والخصائص المعمارية الإسلامية. أماالعناصر أو الخصائص المعمارية لنمط المدجر لتلك الفترة فهي كالتالي:

- قوس حدوة الحصان horseshoe arch
- القوس الإشعاعي
- الإفريز (إطارمزخرف يحيط بالقوس أو النافذة أو فاصل زخرفي بين عدة طبقات) alfiz
- سقف خشبي بارز Artesando وهو مشكل من قطع خشبية مرصوصة بتشكيل هندسي ومرصعة بزخارف ملونة
- السيراميك المزجج
- الآجرّ في الأقواس والجدران والدعائم

أما من حيث العناصر الزخرفية لنمط المدجر، فتطغى عليها الأشكال الهندسية والزهرية/النباتية المتداخلة والتي يتم إبرازها أحيانا في أعمال الآجرّ. كما يستخدم الخط أو الكتابة العربية كعنصر زخرفي رئيسي،ولقد استخدم المدجر اللغة العربية، على الرغم من تحريمها، في كتابة النصوص الإسبانية، مما أدى إلى ظهور نوع من الأدب المسمى aljamaida أو أدب المدجر (السويدان، ٢٠٠٦).

ومن أهم أمثلة نمط المدجر وأجملها ذاك الذي ظهر في الأندلس بعد إنهاء الحكم الإسلامي وقبل انتقاله إلى أميركا في القرن الخامس عشر الميلادي، وهو قصر دونا ماريا دي مولينا Dona Maria de Molina وقصر توردیسیالاس Tordesillas وكلاهما في بلد الوليد Valladolid وكذلك منزل سانت جيمس St. James بقرطبة (الشكلان ٥ و ٦)، كذلك بعض المباني العامة في كارفونا وصقوبيا التي أمر ببنائها الملك بيدرو الأول بنمط إسلامي مدجر، بل إن ذلك طبق في مباني العبادة اليهودية مثل معبد الترانزيتو El Transito الذي بني بطليطلة عام ١٣٥٥م من الحاج ليفي وتضمن استخدام الكتابة العربية لنصوص يهودية وزخارف إسلامية، وقد تم تحويله لكنيسة فيما بعد (الشكل ٧)، كذلك معبد ابن شوشان الذي بني في القرن السادس عشر بطليطلة متضمنا زخارف إسلامية وخطوط عربية لنصوص يهودية، وتم تحويله إلى كنيسة فيما بعد (الشكل ٨). هناك أيضا برج الفاجارين Alfajarin الذي بني في عهد ملوك الإسبان في سرقسطة بنمط إسلامي مدجر عام ١٤٨٦م (Lunde, Art, 1992) (الشكل ٩).

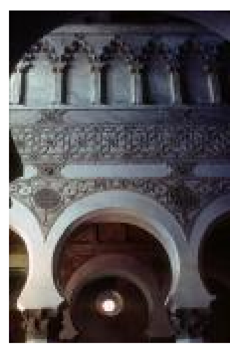
الشكل (٥): زخارف قصر توردیسیالاس، بلد الوليد (Trusted, 2007)



الشكل (٦): مدخل سانت جيمس، قرطبة (Reilly, 1993)



الشكل (٧): معبد الترانزيتو، طليطلة، (مالم تتم الإشارة إلى أحد، الصور هي من التقاط الباحث أو إعداده)

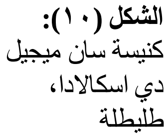


الشكل (٨): معبد ابن شوشان، طليطلة



الشكل (٩): برج الفاجارين، سرقسطة (تصوير جيمس)

أما بالنسبة للكنائس المسيحية التي بنيت على نمط المدجر الإسلامي فكانت عديدة، ومنها كنيسة سان ميجيل دي اسكالاد San Miguel de Escalada التي بنيت في عهد المسلمين بطليطلة عام ٩١٣م بملامح وعناصر معمارية إسلامية (الشكل ١٠)، ودير سانتا كلارا دي توردسيلاس Convento de Santa Clara de Tordesillas الذي بناه الملك الفونسو الحادي عشر في ليون عام ١٣٤٠م احتفالا بانتصاره في معركة سالادو Salado (Interamerican, 2000) (الشكل ١١)، وكنيسة كريستو دي لا لوز Cristo de la Lauz التي بنيت أصلا كمسجد اسمه مسجد باب المردوم بطليطلة وأصبح كنيسة عام ١١٨٧م بعد تعديلات معمارية تتصيرية شملت زخارف إسلامية على نمط المدجر (الشكل ١٢)، كذلك الأمر كنيسة لا سيو La Seo التي بنيت في سرقسطة مابين ١٣٦٠-١٣٧٦م بعد حقبة المسلمين (شكل ١٣).

الشكل (١٠): كنيسة سان ميجيل دي اسكالادا، طليطلة

الشكل (١١): دير سانتا كلارا دي تورديسلاس، ليون (تصوير جيمس)

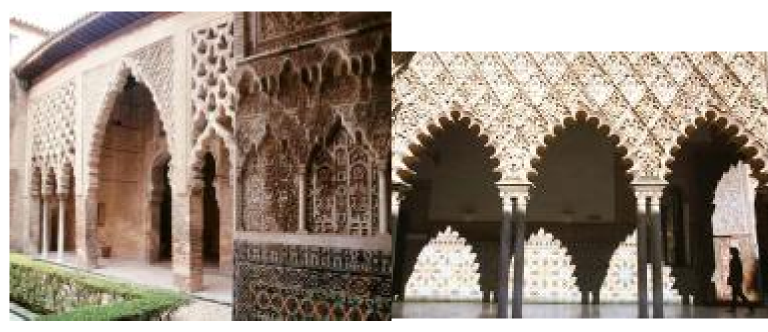



الشكل (١٢): كنيسة كريستو دي لا لوز، طليطلة

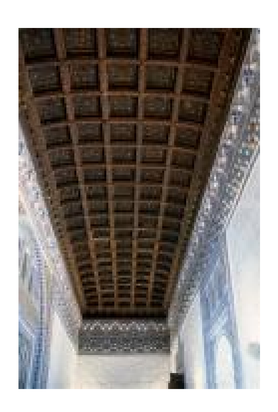
الشكل (١٣): كنيسة لا سيو، سرقسطة

ويعتبر قصر الكازار في إشبيلية Alcazar Seville (١٣٦٤-١٣٦٩م) احد أهم المباني التي عكست طابع المدجر في إسبانيا. وقد بنى هذا القصر أصلا الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (٩١٢-٩٦١م) كدار للأمارة، وتم توسعته في القرنين الحادي عشر والثاني عشر في عهد ملوك الطوائف وسمي باسم القصر المبارك Alcazar al-Mubarak. وتم إعادة بنائه بعد حقبة "الاسترداد" أو Reconquista تحت حكم الملك بيدرو (١٣٥٠-١٣٦٨م) في عام ١٣٦٢م اثر احتلاله له، وأمر بإعادة بنائه بنمط فني إسلامي ومنع أي عناصر معمارية أو زخرفيه قوطية، بل قام ببناء قاعة العدل في هذا القصر مستخدما ذات الحرفيين المسلمين الذين قاموا ببناء قاعة السفراء بقصر الحمراء وزخرفتها حيث قام بيدرو بطلبهم من محمد الخامس الذي كان يحكم غرناطة آنذاك. لذا حوى القصر العديد من كتابات عربية تعظمه. وشهد القصر إضافات في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وأصبح قصراً دائماً لملوك النصارى الإسبان. ولا يزال يعتبر قصراً رسمياً لملك إسبانيا الحالي. وتعكس هذه التجديدات والترميمات والتوسعات نمط المدجر الحديث آنذاك حيث تشمل على عناصر زخرفيه إسلامية جصية للخط العربي الممزوج بزخارف زهرية وأشكال هندسية من السيراميك (Chueca, 1947). وقد قام الملك بيتر الأول في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بإضافة صالون السفراء لهذا القصر متضمنة أقواساً أندلسية (حدوية ونصف دائرية) وزخارف إسلامية وأعمال سيراميك ملون، وقد سمي هذا الصالون لتشبيهه بقاعة السفراء في قصر الحمراء بغرناطة، ويتضمن أيضا كتابات عربية تعظم الله سبحانه وتعالى والملك بيتر (الشكلان ١٤ و١٥).

على الرغم من توسعات هذا القصر في حقبة الملوك النصارى، إلا أن ذلك تم على أساس المسقط الأفقي الأصلي الذي تم بناء القصر عليه أثناء عهد المسلمين. فالقصر لا يزال يحافظ على باحاته الواسعة بأروقتها ونوافيرها وأرضيات السيراميك المزخرفة التي تعكس الفن المعماري الأندلسي القديم. كما أن تلك الزخارف التي أضيفت فيما بعد كانت محدودة وعلى النسق المعماري الأصلي نفسه (Morales, 1966). ويدل وقيام هؤلاء الملوك خاصة بيتر بإضافة تلك الزخارف بنسق إسلامي على أنه لم يكن لديه أي خيار سوى الاستمرار بذات النمط الذي كان سائدا ومعروفا في إشبيلية آنذاك. وقد يدل أيضا على رغبته في إثبات مهارة الحرفيين المسيحيين الجدد وقدرتهم على إيجاد فن معماري يضاهي الفن الإسلامي الأندلسي القديم.



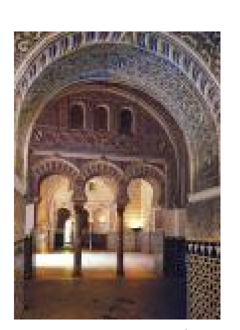
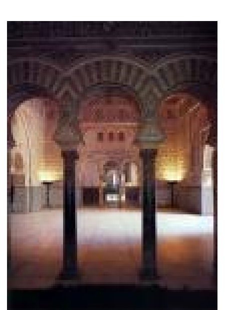

أ) مناظر من الخارج





ب) الكازار، مناظر من الداخل

الشكل (١٤): الكازار في إشبيلية، عبر عصور مختلفة بعد إنهاء الخلافة الإسلامية، يتضمن زخارف إسلامية وأقواساً جصية وخطوط كتابة عربية ممزوجة بأشكال زهرية وأعمال سيراميك ملون ذات أشكال هندسية

الشكل (١٥): صالون السفراء، إشبيلية، بني في عهد الملك بيتر الأول في نهاية القرن الخامس عشر

ومثال أخر على قصور مسيحية بنمط إسلامي مدجر قصر كاسا دي بلاتوس Casa de pilatos أيضا في إشبيلية الذي بني في عهد الملك ماركيز Marquis في القرن السادس عشر، ولا يزال محافظا على عناصره الزخرفية الإسلامية التقليدية (الشكلان ١٦ و ١٧). وقد شهد قصر الجعفرية في سرقسطة الذي بني في عهد الطوائف توسعات عندما أصبح سكناً للحكام النصارى الإسبان شملت خصائص معمارية وزخرفية مدجر إسلامية (شكل ١٨)، وشهد مسجد اشبيلية الذي بني في عام ١١٧٢م في عهد الخليفة الموحدي الثاني أبو يعقوب يوسف (١١٣٩-١١٨٤م) إضافات معمارية وزخرفية بنمط مدجر إسلامي عندما تم تحويله إلى كنيسة، وتعتبر مئذنة هذا المسجد المسماة لا جيرالدا La Giralda معلما رئيسيا لمدينة إشبيلية. وقد قام الوزير الموحدي أبو بكر محمد بن أزهر بالإشراف على بنائها شخصيا (Interamerican, 2000) (الشكل ١٩).



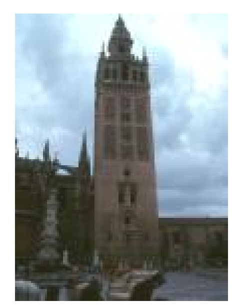
الشكل (١٦): قصر كاسا دي بلاتوس، اشبيلية



الشكل (١٧): فناء قصر دي لاس دونسيلاس، اشبيلية (تصوير جيمس)



الشكل (١٨): قصر الجعفرية في سرقسطة



الشكل (١٩): مسجد إشبيلية ومئذنته La Giralda

انتقال نمط المدجر إلى أميركا: كريستوفر كولمبوس وهروب المسلمين

لقد انتقل نمط المدجر المعماري والفني بخصائصه الأندلسيه التي ذكرت أعلاه إلى أميركا حيث تم تطويره هناك بدمجه تارة مع أنماط العمارة المحلية، وتارة مع أنماط الباروك والقوطي التي قدمت من أوربا فيما بعد. فتاريخيا لعبت إشبيلية دوراً كبيراً في انتقال هذا التراث في القرن السادس عشر حيث كانت المركز الثاني للعرش الملكي الكاثوليكي لفرديناند وإيزابيلا بعد طليطلة. وفي هذه المدينة استطاع كولمبوس الحصول على تأييد فرديناند وإيزابيلا ودعمه لرحلاته الاستكشافية (التبشيرية) إلى العالم الجديد. وفي هذه المدينة أيضا قام الملكان بوضع خططهما للهجوم على غرناطة عام ١٤٩٢م (Arroquia, 1998) (الشكلان ٢٠ و ٢١).



الشكل (٢٠): منظر لإشبيلية في القرن السادس عشر



الشكل (٢١): منظر لقرطبة في القرن السادس عشر(كينتارد، ٢٠٠٤م)

ونشطت في اشبيلية حركة السفر إلى العالم الجديد/أميركا أو إسبانيا الجديدة، وقد نجح الكثير من المدجنين أو المدجر والموريسكو بالسفر إلى أميركا ضمن حملات كريستوفر كولمبوس وذلك على عكس اليهود الذين تم أيضا إبعادهم لكنهم اتجهوا وبأعداد كبيرة إلى شرقي أوربا وشمالي المغرب وتركيا، ناقلين معهم الفن المعماري الأندلسي في مبانيهم التي شيدوها في القرنين السادس عشر والسابع عشر في ألمانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا (شكلي ٢٢ و ٢٣).



الشكل (٢٢): هروب المسلمين المدجر لأميركا الهيسبانية واليهود إلى شمالي أفريقيا ووسط أوروبا بعد سقوط غرناطة



الشكل (٢٣): المعبد الإسباني، براغ، معبد بنمط معماري أندلسي في وسط أوروبا، في القرن السادس عشر

وبعد أن استقر الملكان الإسبانيان فرديناند وإيزابيلا في غرناطة، قام كريستوفر كولمبوس بحثهما على الاستيلاء على القدس والثار من المسلمين سنة ١٥٠١م حيث قال في إحدى رسائله إليهما "يجب علينا أن نؤمن بأن أمر القيام بحملة صليبية لاستعادة مدينة القدس لهو أمر سوف يتحقق بالفعل، وبعد غرناطة.... جاء دور القدس" (السويدان، ٢٠٠٦م).

وأبحر كولمبوس من بالوس Palos (بديلبا) بإسبانيا بقبطانين من أصول إسلامية عبر الأطلسي هما مارتن الونسو بنزون Martin Alonso Pinzon وأخوه فايسينتي يانز بنزون Vicente Yanez Pinzon من عائلة البنزون التي كانت على علاقة وثيقة بأبي زيان محمد الثالث (١٣٦٢-١٣٦٦م) ملك الدولة المرينية في المغرب (١١٩٦-١٤٦٥م). ورحلت أعداد كبيرة من المدجر معهم فارين من الإسبان (Fell, 1983 و Davies, 1986). وهنا من الضرورة بمكان التنويه إلى أن هناك الكثير من الوثائق والحقائق التي تشير إلى وجود رحلات استكشافية إلى أميركا قبل كولمبوس تمت في عهد خلفاء بني أمية، وبالتحديد عبد الرحمن الثالث (٩٢٠-٩٦١م). إلا أن هذا الموضوع يخرج عن نطاق البحث، وقد ذكر كولمبوس ذاته في أوراقه أنه في ٢١ أكتوبر ١٤٩٢م رأى مسجداً على قمة جبل عند اقترابه من كوبا، وأطلال مساجد ومآذن وكتابات قرآنية في كوبا والمكسيك وتكساس ونيفادا (Davies, 1986).

لا يوجد أي إحصائيات دقيقة توضح عدد المسلمين المدجر الذين صاحبوا كولمبوس في أولى رحلاته، حيث أن القائمة الموجودة في اشبيلية والمسماة Lista de pasajeros قد تعمدت عدم إدراج أسماء المدجر أو المريسكو الذين هربوا إلى إسبانيا الجديدة آنذاك. إلا أن هناك معلومات تشير إلى أنه مابين أعوام ١٦٠٩-١٦١٤م كان هناك حوالي ٣٠٠،٠٠٠ من المدجر والمريسكو مطرودين من إسبانيا وهم ممن بقوا في الأندلس بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م. وكان معظم هؤلاء حرفيين، ويعتقد أن ما بين ١٤٩٣-١٦٠٠م قام حوالي ٥٤٨٨١ من الإسبان بالهجرة

إلى العالم الجديد وذلك حسب وثائق مسجلة في الأندلس. وتفيد مصادر أخرى بأن العدد قد يزيد عن ١٠٠،٠٠٠ شخص قاموا بالهجرة بالسر ونسبة كبيرة من هؤلاء كانوا من المدجر، وهناك روايات تشير إلى أن الذهب والبحث عنه في العالم الجديد قد شجع مسلمين من خارج الأندلس مثل تركيا العثمانية للهجرة إلى أميركا الهيسبانية في القرن السادس عشر. ومثال على ذلك عامر جلال الذي هاجر من اسطنبول عام ١٥١٦م إلى بيرو ومكث فيها خمس عشرة سنة كاتماً إسلامه. ويقال إن البحارة الإسبان قبضوا على الأقل على ٢١ تركياً كانوا يكتمون إسلامهم في جزر الكاريبي في القرن السادس عشر (Lunde, Muslims, 1992).

وفي عام ١٥٤٣م قام الملوك الإسبان بإصدار قانون يمنع المسلمين واليهود والبروتستانت من الهجرة إلى العالم الجديد. وفي عام ١٥٧٤م صدر قانون بطرد كل المدجر الذين اعتنقوا إلى المسيحية مؤخرا مع أطفالهم من أميركا، وكان يعرف هذا القانون باسم Las Leyes y Ordenanzas Reales de la Indieas del Mar Oceano (Lunde, Art, 1992). إلا أن هذه القوانين لم تأت بنتائج في ظل الهجرة في السر، الأمر الذي جعل الملوك الإسبان يقومون بإصدار قانون بإنزال عقوبة الإعدام بمن يذهب من المسلمين إلى العالم الجديد (Lunde, Muslims, 1992).

وسبب قانونا المنع ثم الإعدام اللذان أصدرهما ملوك الإسبان بحق المسلمين سببا هلعا لدى المدجر والموريسكو الموجودين في أميركا مما اضطر بعضهم إلى الهروب جنوبا نحو المكسيك ومناطق الأنديز مثل بيرو والإكوادور وفنزويلا، حيث نقلوا معهم ثقافتهم المعمارية الإسلامية إلى هناك. وجعل قانون الإعدام الكثير من السفن تغادر موانئ جنوبي إسبانيا سراً إلى العالم الجديد ولكن إلى الجزء الجنوبي منه الذي كان أكثر أمنا (McAndrew, 1965). وهناك وثائق تاريخية في بعض مناطق الأنديز تشير إلى أسماء أندلسية عديدة دخلت هذه المناطق مثل سبستيان بلال وهو احد الذين احتلوا الإكوادور، و بياترز لا موريسكا Beatriz La Morisca أو بياترز المغربي، أو الموريسكي الذي فتح بيرو و استيفانكو Estevanico أو استيفان المغربي في فنزويلا. وتشير وثائق أخرى إلى أن العديد من المسلمين حوكموا سراً فيما بعد لإسلامهم في ليما في البيرو في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي (Irving, 1969) (الشكل ٢٤).



الشكل (٢٤): بعض أهم الشخصيات الإسلامية التي فرت إلى الجنوب في أميركا الهيسبانية ولعبت دورا في تاريخ تلك المناطق

الثقافة الإسلامية في العالم الجديد

يطلق بعض المؤرخين على العالم الجديد أو أميركا الهيسبانيه اسم الأندلس الأطلسية Atlantic Al-Andalus. وجغرافياً، كانت لأجزاء هذه الأندلس الجديدة أسماء متعددة، فمثلا كان يطلق اسم إسبانيا الجديدة على المكسيك وشمالي وسط الولايات المتحدة، وتسمى كولومبيا والدول المجاورة بغرناطة الجديدة (Lunde, Art, 1992)، على أية حال، تشمل دول أمريكا الهيسانية المكسيك وبورتوريكو وكوبا وسان دومنيكان وكولومبيا والإكوادور وفنزويلا وبيرو وتشيلي وباراغواي وأورغواي والأرجنتين وجواتيمالا وجنوبي الولايات المتحدة.

وقد حرص الإسبان على جعل أميركا الهيسبانية معبداً أو كنيسة ضخمة، لذا ركزوا على نشر المسيحية بإكراه السكان المحليين على التنصر، وتركوا المسلمين المدجر لبناء الكنائس وتدريب السكان المحليين على ذلك، وكما حدث في الأندلس من استخدام وسائل التعذيب لإجبار المسلمين على التنصر، كذلك كان الأمر في أميركا الهيسبانية. ومن الحوادث المعروفة عن هذه الأساليب ما حدث في الإكوادور حيث كان هناك ملك إنكا Inca يدعى Atahualp تم حرقه حياً عندما رفض المسيحية ورمى الإنجيل عندما حاول الإسبان إجباره على أن يؤمن بأنه كلام الله (Suquillo, 2007). وشمل والحرق والتعذيب أيضا المسلمين القدامى المتواجدين في كوبا والدومنيكان وبورتريكو منذ القرن الثامن الميلادي قبل رحلات كولمبوس، وكان هؤلاء الذين تعود جذورهم إلى أيام العبودية الأفريقية، ونتيجة لهذه المحرقات الجماعية انحسر الإسلام في أميركا الهيسبانية. كما أن انتشار الأوبئة بشكل كبير خاصة ما بين ١٥٤٥-١٥٤٦م أدى إلى وفاة الملايين من المسلمين والسكان المحليين في تلك الأماكن (Arte, 2007).

وبرغم التنصير والحرق، فقد كان الإسلام في بيرو أكثر عمقا وتأثيرا في الثقافة المحلية من الدول الأخرى. ومن المعروف أن المدجر الأندلسيين قاموا بنشر ثقافتهم بشكل ملفت في بيرو خاصة فيما يتعلق بحجاب النساء والمشربيات العربية المسماة Arabescos كما سيتضح لاحقا.

أما في بنما، فقد كان هناك قبائل اسمها ماندينكا Mandinka tribes، يعتقد أنهم من أصول افريقية أو مغاربية، وكانوا على عكس العبيد الآخرين في أماكن أخرى من أميركا الهيسبانيه، معتدين بدينهم. كان عددهم حوالي ٤٠٠-٥٠٠ شخص هربوا من باخرة غرقت بالقرب من سواحل بنما عام ١٥٥٢م. وكان اسم قائدهم بيانو Bayano أو Vaino من كلمة "بيان" العربية، وقد أقام هؤلاء ما يشبه الخلافة في بنما. وكان هذا القائد أيضا إمام المسجد، لكن قام الإسبان بقتل عدد كبير من جماعته واعتقاله ونفيه إلى بيرو ثم إلى إسبانيا حيث توفي هناك بعد أن نجح وجماعته بجعل الكثير من السكان الأصليين يعتنقون الإسلام. لكن الإسبان قتلوا معظم هؤلاء. وهناك نهر في بنما سمي باسمه Baayno. وفي المكسيك، يعود وجود المسلمين هناك إلى عهد غزوات الإسبان من الأندلس وكوبا في القرن السادس عشر،أجبر بعضهم على تغيير ديانته وقد كتب عن ذلك إسباني مسلم طرد من الأندلس في القرن السادس عشر واسمه باسكويل المؤذن Pascual Almazan.

وعلى الرغم من الوفيات بسبب الأوبئة وتنصير عدد كبير من السكان المحليين للديانة المسيحية، بقيت جذورالإسلام كثقافة في أميركا الهيسبانية في أشكال مختلفة. إذ قام المدجر والمسيحيون الحرفيون الذين ورثوا أساليب الفن المعماري والزخرفي الإسلامي وتقنياته وقدموا مع كولمبوس منذ عام ١٤٩٢م، قاموا بنقل هذه الأساليب ونشروها في العالم الجديد خاصة في القرنين السادس عشر والسابع عشر (Lunde, Art, 1992)، فقد نقل

المسلمون تقنيات الزراعة والقطن والسكر والأبازير والفواكه وطب الأعشاب، وقد كانت العباءة التي جلبها المدجر معهم هو لباس السيدات في ليما في القرن السابع عشر (Lunde, New, 1992)، وحتى تاريخه كان غطاء الرأس (الحجاب) ما يزال منتشراً لدى النساء الكبيرات في السن في بعض قرى البيرو.

النمط المعماري الإسلامي المدجن في العالم الجديد

كما ذكر آنفا، قام المسلمون المدجر، على الرغم من تظاهر بعضهم بالنصرانية، بنقل ثقافتهم الإسلامية وخبراتهم المعمارية الأندلسية إلى العالم الجديد وبتقديم نمط معماري لم تعهده تلك المناطق. كما أن التعصب الأعمى الذي هيمن على العقلية الإسبانية انعكس أيضا في المناطق التي استعمرها الإسبان في أميركا العالم الجديد. فكان أول ما يقوم به المستعمر الإسباني هو إقامة كنيسة في أهم موقع في المدينة بحيث يكون لها تأثير قوي على المدينة عمرانيا واجتماعيا، وقد انعكس هذا على ثراء الكنائس الاستعمارية الإسبانية بالزخارف الصليبية في الداخل. وعلى الرغم من تسابق المعماريين الإسبان والإيطاليين على بناء هذه الكنائس حسب الأنماط الأوربية السائدة خاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، إلا أن نمط المدجر كان هو السائد نظرا لمهارة الحرفيين الموريسكيين والمدجر الذين قدموا من إسبانيا.

وقد ذكر الراهب الإسباني أندريس دي سان ميجيل بان المدجر الذين كلفوا ببناء كنائس على الطريقة الإسلامية الأندلسية وما بها من زخارف وأشكال كانوا يدربون السكان المحليين على البناء بهذه الطريقة، وتضم كتابات هذا الراهب رسوماً تنفيذية للزخارف التي كان يدرسها ويرسمها حرفيون من المدجر للسكان المحليين وكانت هذه الزخارف مطابقة لما كان موجوداً في الأندلس من حيث نمط التكرار والملامح والأنواع وطريقة التنفيذ. وذكر الراهب أن هذه الزخارف هي في الأصل من دمشق، وأنها انتقلت فيما بعد إلى الأندلس مع الأمويين (الشكل ٣٠)، وذكر الراهب أن السكان المحليين كانوا يبنون الكنائس بهذه الزخارف والعناصر المعمارية الإسلامية من دون أن يكون لديهم أي دراية بدين الإسلام، إلى درجة أن هذا النمط المدجر كان هو الغالب على مباني بعض المدن مثل تونجا Tunja في كولومبيا، كما أن هناك تشابهاً كبيراً بين هذه المباني وتلك الموجودة في غرناطة وقرطبة من حيث المقياس والتفاصيل على الرغم من تطعيمها بالنمط القوطي المسيحي الذي ساد أوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر (Lunde, Art, 1992). ويشير الباحث محمد بنعبود إلى أن نمط المدجر المعماري في أميركا الهيسبانية يعكس قدرة التراث الأندلسي على البقاء حياً في كل مكان وزمان (بنعبود، ٢٠٠٤). ويضيف المؤرخ المعماري البيروفي غونزالو بوراس (أو أبو رأس) Gonzalo Borras بان نمط المدجر في أميركا الهيسبانية هو عمارة إسلامية لكن في مناطق مسيحية، وأسماه الفن الهيسباني الإسلامي art hispano musulman، وتؤكد الناقدة البيروفية ماريا أنجيلس تواجاس روجر Maria Angels Toajas Roger، بان النمط المعماري المدجر هو فن إسلامي طوع لخدمة وظائف مسيحية (Musulmanes, 2007).

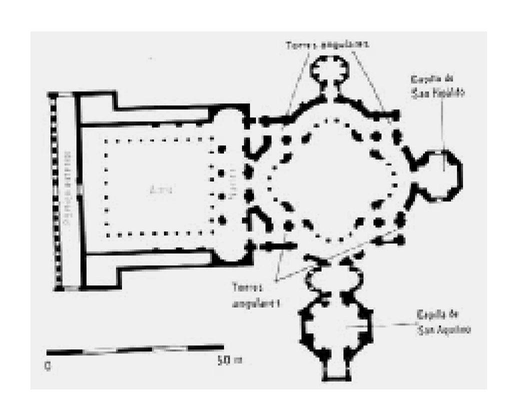
وفي أواخر القرن السادس عشر، ولأسباب إيديولوجية، أصدرت الكنيسة في إسبانيا قانون بتحريم استخدام زخارف المدجر في كنائس أميركا الهيسبانية حيث رأت أن تلك الزخارف والأشكال سوف تبعث الشك لدى المحولين للمسيحية من السكان الأصليين. لكن التحريم هذا لم ينفذ في المناطق والقرى البعيدة حيث استمر بناء الكنائس بنمط المدجر الإسلامي خاصة في المكسيك، وفي أوقات لاحقة خاصة القرنين السابع عشر والثامن عشر تم إعادة إحياء نمط المدجر في أميركا الهيسبانية مع إدخال عناصر من نمط الباروك وأطلق على هذا النمط الجديد Colonial

American Art أو Colonial Style، وقام بعض الباحثين بتسمية هذا النمط الاستعماري بالنمط المعماري الإسلامي الحديث Neo Islamic Style (El Lgado, 2007).

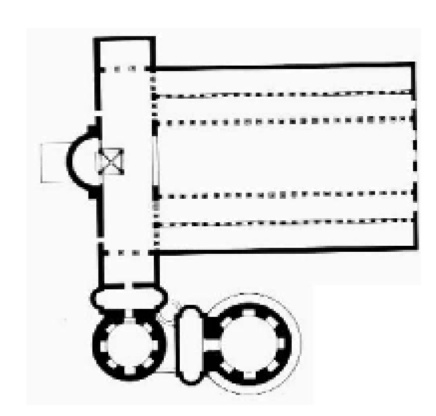
فيما يلي توضيح لملامح نمط المدجر الإسلامي عبر حقب مختلفة من التاريخ في أميركا الهيسبانية من حيث الشكل المعماري والزخارف والفراغات الخارجية وهذه الملامح أو الخصائص متداخلة ومرتبطة أو مكملة لبعض.

الشكل المعماري Architectural Form

تتضح ملامح نمط المدجر الإسلامي في الشكل المعماري للمباني الهيسبانية، فعلى عكس خصائص المساقط الأفقية للكنائس القوطية التي كانت تأخذ أشكال بيضاوية أو اسطوانية أو متصالبة والتي كانت شائعة في أوروبا في الفترة بين القرون الخامس عشر والسابع عشر، كانت دور العبادة في إسبانيا الجديدة/أميركا الهيسبانية مستطيلة (الشكلان ٢٥ و ٢٦). وهذا ما كان مطبقاً في دور عبادة المسلمين كجامع قرطبة في الأندلس حيث الشكل المستطيل للمسقط الأفقي لتوسيعات المسجد لزيادة عدد المصلين كان مألوفاً للمدجر وقاموا بتنفيذه في كنائس العالم الجديد مابين القرنين الخامس عشر والسادس عشر. والجدير بالذكر ان المحور المركزي لكنيسة سان جوزيه دي ناتورالس San Jose de los Naturales التي بنيت في مدينة المكسيك عام ١٥٦٣م كان يشبه في اتساعه ونسبه وموقعه ونهاياته المحور المسمى "المجاز القاطع" الذي كان أحد أهم العناصر المعمارية في بعض المساقط الأفقية لمساجد بني أميه كجامع دمشق مثلا (الأشكال ٢٧-٢٩).



الشكل (٢٥): كنيسة سان لورينزو، ميلانو، القرن الخامس عشر، حيث تطغى الأشكال الدائرية والبيضاوية على المسقط (Didacta, 1992)

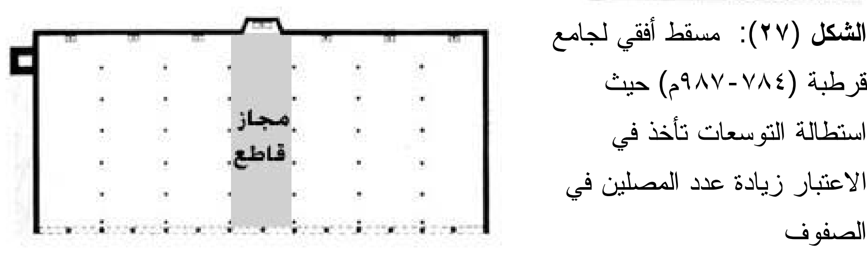


الشكل (٢٦): كنيسة سان بيتيرز، الفاتيكان، روما، ١٤٥٠م، مسقط أفقي متصالب (Didacta, 1992)



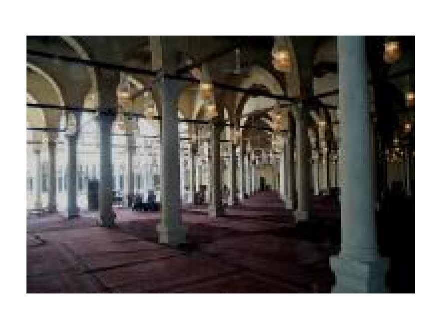
الشكل (٢٧): مسقط أفقي لجامع قرطبة (٧٨٤-٩٨٧م) حيث استطالة التوسعات تأخذ في الاعتبار زيادة عدد المصلين في الصفوف

الشكل (٢٨): الشكل المستطيل لمساقط كنائس مدجر هيسبانيه، القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي ((Lopez, 1992)



الشكل (٢٩): مسقط أفقي لكنيسة سان جوزيه دي لوس ناتورالس، مدينة المكسيك، ١٥٦٣م، لاحظ المجاز القاطع (McAndrew, 1965)

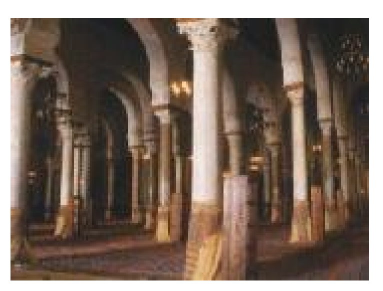
ومن الخصائص المعمارية التي شاعت في مساقط كنائس القرن السادس عشر في أميركا الهيسبانية وذات الأصول الإسلامية، مسقط قاعة الصلاة المستطيل الموازي وليس المتعامد مع حائط المذبح. ولقد كان لمسجد قرطبة بتوسعاته المستطيلة لقاعات الصلاة للحفاظ على استطالة صفوف المصلين أكبر الأثر في استطالة قاعة الصلاة في الكنائس الهيسبانية خاصة في القرون الأولى من وصول المدجر لأميركا الهيسبانية، على الرغم من أن هذه الاستطالة متعامدة وتوحي بالاتجاه نحو القبلة، (Torres, 1971)، وتميزت بعض قاعات الصلاة في هذه الكنائس بما يشبه غابة من الأعمدة، وهذه خاصية معمارية أخرى لمساجد الأندلس الناتجة عن طريقة الإنشاء (أعمده وعقود)، وكانت الأعمدة شاهقة الارتفاع وتصل إلى ١٥ متراً. وكنيسة كابيلا ريال Capilla Real في تشولولا Cholula جنوبي شرق مدينة المكسيك هي أفضل مثال على ذلك والحرص على زرع غابة من الأعمدة الخشبية لغرض جمالي وليس إنشائي (McAndrew, 1965) (شكل ٣٠).



جامع عمرو بن العاص، القاهرة

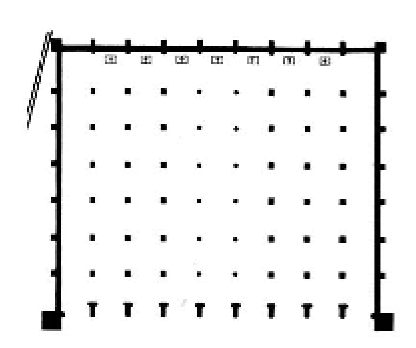


جامع قرطبة، إسبانيا



غابة الأعمدة لمسجد القيروان، تونس

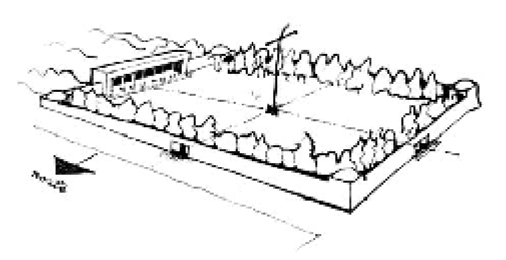
أ) **مساجد أموية**

ب) كنيسة كابيلا ريال Capilla Real، المكسيك، ١٥٤٤م

الشكل (٣٠): تشابه قاعات الصلاة في المباني الأموية والأندلسية والهيسبانية/المدجر من حيث كثافة الأعمدة لأغراض جمالية

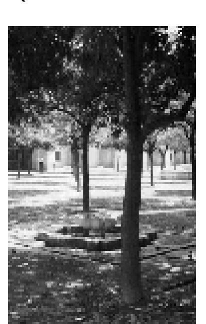
ويسبق قاعة الصلاة في بعض كنائس أميركا الهيسبانية فناء كبير جدا، وهذا تقليد أخر لم يكن شائعا في أوربا المسيحية آنذاك. ومثال على ذلك فناء دير أُوغيستينو كونفينتو دي سان بيدرو Agustino Convento de San Pedro في مدينة تيزونتيبيك المكسيكية حيث تصل مساحة الفناء المفتوح إلى أربعة ألاف متر مربع (Arte, 2007). وكانت هذه الأفنية مليئة بالأشجار المثمرة، وهو أيضا تقليد كان شائعا في مساجد الأندلس. وكانت الصلوات تقام في تلك الأفنيه على غير التقليد الأوربي آنذاك (Kubler, 1959) (أشكال ٣١-٣٣)، ومن الملاحظ وجود نوافير مياه في أفنية الكنائس الهيسبانية مثل نافورة تشيابا دي كورزو Chiapa de corzo بالمكسيك وغيرها تطابق نسبها وشكلها وأسقفها نوافير مساجد بني أمية في الأندلس وبلاد الشام.



الشكل (٣١): رسم للمبنى الأصلي لكنيسة سان جوزيه دي لوس ناتورالس، Sand Jose de los Naturale، مدينة المكسيك، ١٥٥٤م، يشمل فناء كبير قبل قاعة الصلاة المغطاة (McAndrew, 1965)



الشكل (٣٢): فناء مسجد قرطبة يتضمن نباتات وأشجار فواكه ذات أصول دمشقية



الشكل (٣٣): فناء كنيسة دي سان اندريس، Iglesia y Convento de San Andres, Caplan، المكسيك، القرن السادس عشر (McAndrew, 1965)

وتعتبر الأبراج المربعة جزءاً رئيسياً من المسقط الأفقي للكنائس والأديرة التقليدية في أميركا الهيسبانية، وكانت هذه الأبراج مماثلة للمآذن التي شاعت في الأندلس وشمالي أفريقيا من حيث المسقط والنسب والارتفاع، وتتميز هذه الأبراج بالإفراط الزخرفي في الأسطح الخارجية، وكانت أسقف هذه الأبراج أو نهاياتها تأخذالشكل قبة أو قمع مخروطي. وتعكس هذه الطريقة من التسقيف الإصرار على الحفاظ على الشكل المربع للأبراج. أحيانا يتكون البرج من عدة طبقات مربعة تتدرج بزاوية لتعطي شكلاً هرمياً (Kulber, 1959) واستمر هذا النمط من الأبراج حتى الآن. وكان البرج، كما كان الحال بالنسبة للمئذنة الإسلامية، أعلى مبنى في المدينة (Musulmanes, 2007)، ومن أمثلة هذه الأبراج برج كنيسة تالاكسالا الذي يحيط بنوافذه افريز مستطيل، وبرج سان فرانسيسكو بمدينة المكسيك (Enciclopedia, 2007) المنعزل عن الدير أسوة ببعض مساجد الأندلس وشمالي المغرب كمسجد حسان وغيره. وهناك الكثير من الأمثلة لهذه الأبراج/المآذن المربعة في مدينة كوسكو ببيرو وسانتياجو بتشيلي، وفي أوقات لاحقة خاصة بعد بناء كاتدرائية بلازا دي ارميس Plaza de Armes في كوسكو عام ١٦٦٤م. تم إبراز الواجهات الأمامية ببرجين جانبيين. ومن أمثلة ذلك كنيسة بروفيسا Professa في مدينة المكسيك وكنيسة سان فرانسيسكو دي ايسيس San Francisco de Asis (١٦٧٣م) بوسط ليما ببيرو والتي تميزت بمزيج من زخارف المدجر والباروك، وفي كنائس في لاباز ببوليفيا وقرطبة بالأرجنتين وبعض أنحاء بيرو والإكوادور (الشكلان ٣٤ و ٣٥).



مئذنة لا جيرالدا، إشبيلية



مئذنة جامع حسان (موحدي)، الرباط



برج كنيسة إبسجوان، مدينة المكسيك

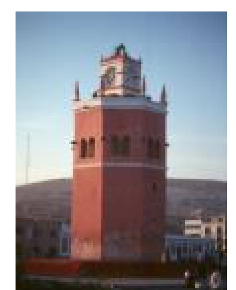


كاتدرائية كوسكو، بيرو

أ) مسقط مربع (لاحظ تشابه الأعمال الزخرفية الجصية على واجهات الأسطح)



برج الذهب، القرن الثالث عشر، إشبيلية



برج تيبياكا Tepeaca، المكسيك (تصوير جيمس)



مئذنة جامع قرطبة



برج كنيسة سان فرانسيسكو، سانتياجو، تشيلي

ب) مسقط متعدد الأضلاع **ج) مسقط متدرج**

الشكل (٣٤): تشابه المساقط والنسب والزخارف بين الأبراج/المآذن الأندلسية الإسلامية وتلك التي بنيت في أميركا الهيسبانية في القرن السادس عشر




الشكل (٣٥): الأبراج المزدوجة في واجهة مبنى قديم (١٣٣٩م) في مدينة فـاس وكنيسـة لا بروفيسـا La Profesa، مدينة المكسيك

الزخارف (Ornamentation)

إن أكثر ما يميز نمط المدجر أو الاستعماري هو الزخارف ذات الأصول الإسلامية الأندلسية التي كانـت تسـتخدم كمحاولة لإظهار العناصر الإنشائية وخصائص الجدران ضمن وحدات زخرفيه صغيرة معقدة تعطي طابعـاً مثيـراً على المباني (King, 1927). وقـد اسـتخدمت هـذه الزخـارف أحيانـا كطـلاء أو تكسـية لجـدران الآجـرّ (Musulmanes, 2007)، وهي مماثلة لما كان في الأندلس، وبما أن الخط كان جزءاً أساسـياً مـن هـذا الـنمط باستخدام آيات من القران الكريم فقد كانت بعض هذه الزخارف تطوير للكتابة العربية الخطية وتحويلها إلى أشـكال زهرية سميت لاسيريا Laceria و ataurique وهي من الكلمة العربية التورق (الشكل ٣٦). وعندما كانت بعض هذه الزخارف الخطية مقاربة جدا إلى الكتابة الكوفية من حيث الشكل كانت تسمى كوفيكوس أو caficos. وكانـت تتميز بالتكرار وأحيانا يتم تصميمها من الجص. ومن أمثلة هذه الأعمال ما هو موجود في كنيسة فرانسيسكو بكيتـو بالإكوادور التي تم بناءها في عام ١٥٣٦م وتتميز بزخارف زهرية استثنائية (الشكل ٣٧)، ويعتبر قصـر كولـون Alcazar Colon الذي بناه دياجو ابن كريستوفر كولمبوس في سان دومنيكان تحت إشراف معلمين مسلمين مدجر من طليطلة مابين ١٥٠٩-١٥١٠م من أوائل أعمال المدجر التي حوت زخارف تزيينية كثيفة في الداخل. وقـد قـام هؤلاء المسلمون الطليطليون بتدريب ٣٥٠ عاملاً محلياً أثناء بناء هذا القصر الذي تم تحويله إلى سجن عام ١٧٦٧م، ثم أصبح متحفاً وطنياً عام ١٩٥٥م (الشكل ٣٨).

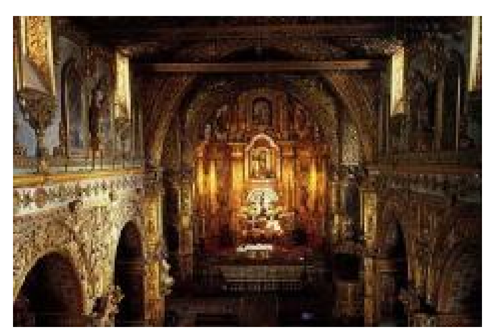

أ) زخرفة دمشقية، (بنعبود، ٢٠٠٤)


ب) زخارف حشوات منبر مسجد الأندلسيين بفاس، المغرب (أينـــامور، ٢٠٠٤)


ج) زخارف جصية فوق جدران من الآجر، دير زاكان Zacan Convent، المكسيك


د) زخارف جصية فوق جدران من الآجر، كنيسة أنغوان Angahuan Church، المكسيك

الشكل (٣٦): التشابه بين الزخارف الزهرية الدمشقية الأموية والأندلسية والمدجر الهيسبانية


الشكل (٣٧): كنيسة سان فرانسيسكو San Francisco، كيتو، الإكوادور

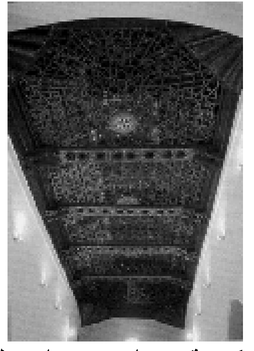

الشكل (٣٨): قصر كولون Alcazar de Colon، سان دومنيكان (تصوير جيمس)

ويعتبر السقف الجصي في كنيسة تلاكسكالا Tlaxcala بالمكسيك من أجمل أعمال الزخارف الزهرية Lacerias للمدجر(شكل ٣٩). وقد بنى هذه الكنيسة فراي مارتن الفالنسي Fray Martin de Valencia في عام ١٥٣٧م، وهي إحدى أول أربع كنائس تم بناؤها على نمط المدجر في العالم الجديد (Enciclopedia, 2007)، والجدير بالذكر هنا أن هذه الزخارف الأندلسية ازدهرت أيضا في مدينة غوادلاخارا بالمكسيك في أوائل القرن السادس عشر (بنعبود، ٢٠٠٤).

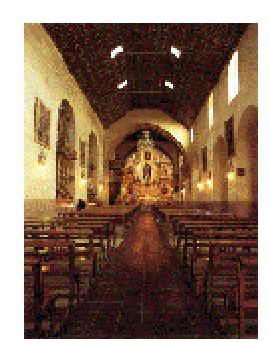
وقد كانت هذه الزخارف الملونة حسب التشكيل المذكور أعلاه جزءاً أساسياً في الأسقف الخشبية المسماه ارتسونادو Artsonado التي تطابق زخارفها أسقف مباني الأندلس (Markman, 1984)، ومن أمثلة هذه الأسقف ما هو موجود في المكسيك من كنائس مختلفة مثل كنيسة اجليسسيا دي سان فرانسيسكو Iglesia de San Francisco في مدينة تلاكسكالا وكنيسة تلاكسكالا Tlaxcala ومدينة تلاكسكالا، وكنيسة أجليسيا دي سان فرانسيسكو دي اسيس Iglesia de San Francisco de Asis في مدينة تلابويليلبان Tlabuelilpan، وكنيسة سان نيكولاس اوبسبسبو San Nicolas Obisbo في مدينة المكسيك، ودير اتلاتلايوسا Atlatlauca Convent أيضا في مدينة المكسيك، وجميعها تحوي أمثلة رائعة من سقف الارتسنادو (Lunde, Art, 1992) (شكل ٣٩).

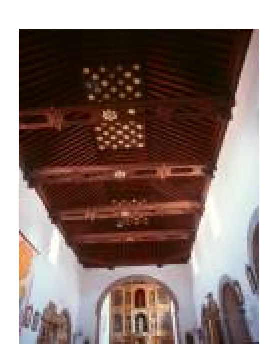

مسجد قرطبة


قصر الحمراء


كنيسة سان دي ماجيل، بناها المدجر في غاوديكس Gaudix، إسبانيا، ١٥٨٩م (Florez, 2002)

أ) سقف الارتسنادو الخشبي في الأندلس


كنيسة اجليسا دي سان فرانسيسكو، تلاكسكالا



كنيسة تلاكسكالا، المكسيك


كنيسة اجليسيا دي سان فرانسيسكو دي اسيس، تلابيويليلبان، القرن السابع عشر (Chueca, 1947)


كنيسة سان نيكولاس اوبيسبو، المكسيك

ب) سقف ارتسنادو الخشبي في المكسيك متضمنا زخارف خشبية معقدة وعضاضات كبيرة



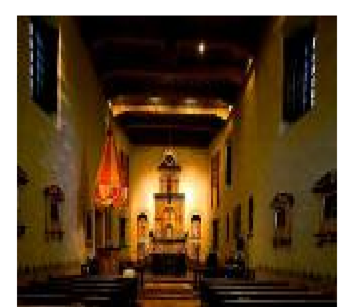
دير اتلاتلايوكا، المكسيك (تصوير جيمس)

شكل (٣٩): تشابه سقف الارتسنادو في الأندلس والمكسيك

وفي الولايات المتحدة، كان سقف الارتسنادو المدجر عنصراً معمارياً مشتركاً بين كافة دور العبادة التي بنيت مابين القرون السابع عشر والتاسع عشر في ولاية نيو مكسيكو، ومن أمثلتها دير السانتيرو في تشيمايو، El Santurio, Chimayo الذي بني عام ١٨١٦م حيث تم دمج نمط المدجر الزخرفي مع نمط البابلو المحلي (من عهد الهنود الحمر) والذي تم إحياؤه مرة أخرى في مباني دينية معاصرة في القرن العشرين في الولاية نفسها ضمن موجة معمارية إحيائية اسمها بوبيلو ريفافيل Pueblo Revival (الشكل ٤٠).

أما في البيرو، فنجد سقف الارتسنادو المفرط في الزخارف الخشبية المعشقة والملونة في كثير من المباني مثل كنيسة اندالواليلاس Andahualillas بمدينة كوسكو التاريخية (شكل ٤١)، وكنيسة فرانسيسكو بكيتو بالإكوادور حيث يسمى سقفها "سقف مدجر" Cielo Mudejar كنوع سائد من أسقف الكنائس حتى الآن (Lunde, Art, 1992) (راجع الشكل ٣٧ السابق).

ومن العناصر الخشبية لسقف الأرتسنادو ما يعرف باسم الفرجيس Alfarjes وهي أصلا من الكلمة العربية "الفرجه" Al-furjah، وتعني بالإسبانية نقشاً أو فراغا يتوسط عنصرين أو فراغين أو جناحين زخرفيين عادة من الخشب. وعادة ما يأتي هذا العنصر بأشكال معقدة بعضها نجمية متداخلة (McAndrew, 1965). ومن أمثلة الفرجيس ما نجده في كاتدرائية مدينة المكسيك بالمكسيك التي بنيت في القرن السادس عشر وسقفها المدجر مغطى بفرجيس جميلة. كما أن معظم الكنائس التي بنيت في المكسيك أيضا في ذلك القرن تتضمن فرجيس متضاربة الألوان. ومن أجزاء سقف الأرتسنادو ما يسمى بالمكربس أو mocarabes وهو من الكلمة العربية "مقرنص" muqarnas، وقد احتوت كثير من الكنائس في أميركا الهيسبانية مثل كنيسة سان فرانسيسكو تلاسيكا بالمكسيك على هذا العنصر الذي اختفى في القرنين السابع عشر والثامن عشر نتيجة سيطرة نمط الباروك (Fernandez, 1993) (شكل ٤٢).





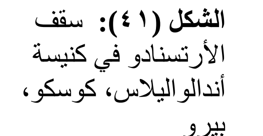
أ) كنيسة سان دييجو دي الكالا، San Diego de Alcala، ١٧٧٤م



ب) دير السانتيرو، تشيمايو (Bevil, 1995)

الشكل (٤٠): سقف الأرتسونادو المدجر في ولاية نيو مكسيكو بالولايات المتحدة





الشكل (٤١): سقف الأرتسنادو في كنيسة أندالواليلاس، كوسكو، بيرو

الشكل (٤٢): المقرنص الخشبي في سقف كنيسة سان فرانسيسكو، المكسيك، ١٦٦٢م

ومن العناصر الخشبية الإسلامية التي شاعت أثناء ذلك المشربية التي تميز وسط الجزء القديم من ليما ببيرو. كما انتشرت المشربيات في مدينة كوسكو أيضا ببيرو ولاباز ببوليفيا ومناطق مختلفة من المكسيك لمعالجة المناخ وحماية الخصوصية. كما استخدم الخشب المعشق بكثافة في النوافذ والأبواب ودواليب الجدران أيضا في المكسيك (أشكال ٤٣-٤٥).



الشكل (٤٣): مشربيات ليما، بيرو



الشكل (٤٤): شرفة بملامح مشربية، كوسكو، بيرو

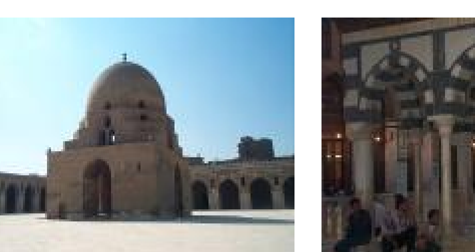


الشكل (٤٥): مشربية، لاباز، بوليفيا

أضف إلى ذلك استخدام الطوب كمادة بناء وزخرفة. وهو أمر لم يكن جزءاً من العمارة القوطية أو الباروك التي شاعت في جنوب أميركا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. في الواقع كلمة ادوبي Adobe الإسبانية لمادة البناء هذه مشتقة من الكلمة العربية "الطوب" Atob. ومن المباني التي تميزت باستخدام الطوب كعنصر زخرفي نافورة رئيسية في مدينة تشيابا دي كروزو Chiapa de Crozo بالمكسيك والتي بنيت عام ١٥٨٦م. وطريقة بنائها

بالطوب الطيني آنذاك أكبر دليل على وجود بنائين مدجر في ذلك الوقت في تلك المنطقة، حيث أن إنهم الوحيدون الذين كان لديهم المهارة العالية في البناء بالطوب التي جلبوها معهم من الأندلس (Angulo, 1932) (الشكل ٤٦).


نافورة الجامع الأموي، دمشق


نافورة جامع احمد ابن طولون


نافورة تشيابا دي كورزو

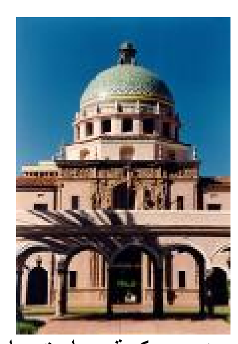
الشكل (٤٦): نمط المدجر في أعمال الطوب لنافورة تشيابا دي كورزو، المكسيك، ١٥٨٦م، لاحظ التشابه من حيث المقاييس والعناصر بين تلك النافورة ونافورات أموية في بلاد الشام ومصر

وقد صاحب استخدام الطوب الزخرفي فن الزوليجرا azulejera المأخوذ من الكلمة العربية الزليج al-zulaij، أو الفسيفساء التي اشتهرت بها الأندلس وشمال أفريقيا. وقد شاع استخدام الزوليجرا على أسطح النوافير والجدران والقباب والأرضيات وواجهات المباني، هذا بالإضافة إلى استخدام السيراميك المزخرف والخردة الملونة، كما تم دمج بعض الأشكال الزخرفية الإسلامية للزليج في أوقات لاحقة مع أشكال زخرفية أتت من إيطاليا. وهناك الكثير من واجهات المباني تعود للقرنين السابع عشر والثامن عشر المبنية من الآجر في مدينة المكسيك ملبسة بالزليج المدجر دمجت بأشكال من الباروك مثل "بيت الزليج"أو Casa de los Azulejos الذي كان سكناً لأحد النبلاء في المكسيك، وهناك العديد من جدران الآجر الملبسة بالزليج في مدينة بيوبلا Puebla القريبة من مدينة المكسيك ومدينة تشولولا Cholula مثل مبنى سان فرانسيسكو دي أكاتيبيك San Francisco de Acatepec. وهناك العديد من المباني التي استخدم فيها الزليج لتكسية القباب في الجنوب الغربي الأميركي مثل توسان بولاية أريزونا حيث يوجد مبنى محكمة بيما Pima Country Courthouse بقبته المغطاة بالزليج الملون (Enciclopedia, 2007) (الشكلان ٤٧ و٤٨).


قصر الحمراء، غرناطة


المدرسة البوعنانية، فاس


مبنى سان فرانسيسكو دي اكاتيبيك، المكسيك


مبنى محكمة بيما، توسان، الولايات المتحدة

الشكل (٤٧): تشابه أعمال الزليج في مباني الأندلس والمكسيك والجنوب الغربي الأميركي

ومن العناصر الزخرفية الإسلامية الهيسبانية الأخرى ما يعرف باسم الفيز alfiz من الكلمة العربية الإفريـز al-ifriz وهو الخط أو الفاصل الذي يفرز بين مجموعات من الزخارف الزهرية أو الهندسية أو عـدة طبقـات، أو يؤطر النوافذ أو الأبواب، وتعتبر قلعة ساندياغو في جنوبي الولايات المتحدة من أجمل مباني المدجر حيث تتضـمن واجهتها افريز يفصل بين عدة طبقات (الشكل ٤٩)، كذلك مبنى البلدية القديم في ليما ببيرو الذي بنـي فـي القـرن السابع عشر (الشكل ٥٠) (Enciclopedia, 2007 و Toussaint, 1946).



الشكل (٤٨): بيت الزليج، مدينة المكسيك



الشكل (٤٩): الإفريز في واجهة قلعة ساندياغو، كاليفورنيا، الولايات المتحدة (Bevil, 1995)



الشكل (٥٠): الإفريز في واجهة مبنى البلدية القديم، ليما، بيرو

الفراغ المفتوح (Open Space)

يعتبر الفناء الداخلي أحد أهم العناصر المعمارية التي نقلها المدجر إلى أميركا الهيسبانية. وبالتـالي يعتبـر بأبعـاده ومحتوياته ذات الطابع الإسلامي، جزءاً من البيئة العمرانية التقليدية هناك. حيث إن معظم المنازل في مدن المكسيك مثل بويبلا Puebla و موريليا Morelia و ميريدا Merida تحوي على أفنية داخلية تعود للقرنين السـابع عشـر والثامن عشر، وتضم هذه الأفنية المركزية نوافير ونباتات وأروقة محيطة على ذات النمط الأندلسي القديم (Lunde, Art, 1992). أما في ليما فالفناء المربع الداخلي جزء أساسي من المنازل خاصة الكبيرة منها. وتطل على هذا الفناء الغرف بأسلوب أندلسي واضح. وتعود بعض هذه الأفنية إلى أيام المسلمين في الخمسينيات من القرن السادس عشر، ولازالت حتى الآن تنطلق من بعضها موسيقى أندلسية ممزوجة بأنغام محلية تسمى زامبراس Zambras وزارابنـد Zaraband، ربما تعود في أصولها إلى الموسيقى التي ابتدعها الموسيقار الأندلسي الشهير زرياب (الأشـكال ٥١-٥٣).



الشكل (٥١): فناء/حديقة داخلية بأسلوب أندلسي، بيونس ايريس، القرن الثامن عشر

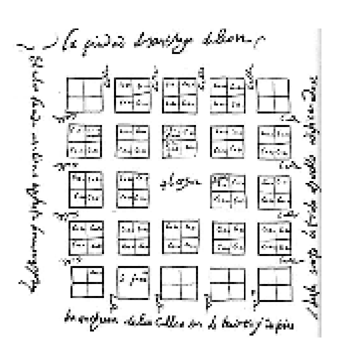


الشكل (٥٢): منزل بفناء داخلي، نيو مكسيكو، الولايات المتحدة

الشكل (٥٣): مخطط لوسط مدينة المكسيك، القرن السابع عشر، يوضح المنازل بأفنيتها الداخلية (Toussaint, 1946)

أما على المستوى العمراني، فقد كان هناك تدرج في الفراغات العمرانية تبدأ من الفراغ أو الميدان المركزي العام وسط المدينة أو الحي، وانتهاء بالفراغ الخاص أو المقفول cul-de-sac في المجاورة. كذلك الأمر بالنسبة للطرق من حيث تدرجها الوظيفي والشكلي. وكان هذا النمط يأخذ الشكل العضوي أو غير المنتظم، ولم يكن شائعا في أوروبا المسيحية التي حرصت على النظام الشبكي للطرق. ويشير العديد من المؤرخين العمرانيين إلى تشابه كبير في النسيج العمراني بين غرناطة في الأندلس، وغوادالاخارا في المكسيك، وليما في البيرو (بنعبود، ٢٠٠٤).

وقد ظهر هذا النمط العمراني الإسلامي لأول مرة عند تشكيل مدينة سانتو دومنيجو في الدومنيكان في عام ١٤٩٤م، وشاع فيما بعد في المكسيك وجنوب الولايات المتحدة الأميركية، إلا أن السلطات الإسبانية أصدرت في بداية القرن السادس عشر أنظمة بناء وتخطيط لإيجاد مدن ذات نظام شبكي، وعلى الرغم من هذه القوانين، ظهرت مدن جديدة بفراغات وأفنية مركزية تشبه الفراغات الإسلامية من حيث الشكل والنسب (١:٢) والتدرج الوظيفي (Pollio, 1956) (شكل ٥٤). ولا شك أن إعادة رسم تلك المدن أو أجزاء منها، على الرغم من تغير ملامحها العمرانية وقصر عمرها الزمني، سيظهر نسيجاً عمرانياً عضوياً يشبه أي مدينة إسلامية قديمة ابتداء من دمشق وانتهاء ببخارى، مرورا بفاس والقاهرة وتونس وقرطبة وغيرها.



الشكل (٥٤): أنظمة البناء Laws of the Indies town plan، التي طبقها الإسبان في مدينة كاراكاس، فنزويلا، القرن السادس عشر، لإيجاد نسيج عمراني شبكي (Mogollon, 2004)

بقاء نمط المدجر الإسلامي في أميركا الهيسبانية وأساليب الحفاظ عليها

تنتهج معظم دول أميركا الهيسبانية عدة أساليب للحفاظ على التراث العمراني ذي الأصول الإسلامية الأندلسية فيها. وتتزعم إسبانيا بكونها الدولة أو المرجع الجغرافي للحضارة الأندلسية، تطبيق هذه الأساليب التي من ضمنها التالي:

• تشجيع السياحة للمناطق الأثرية: ويتم هذا على المستويين العالمي والمحلي، فعالميا تقوم العديد من الهيئات والجهات العامة والخاصة في إسبانيا والولايات المتحدة ودول أميركا الهيسبانية Hispano America بالتنسيق مع مثيلاتها في أوربا واليابان وأستراليا وغيرها لتنظيم رحلات سياحية، الغرض منها اقتفاء أثر الحضارة الإسلامية في مواقع مختلفة من إسبانيا وأميركا الهيسبانية. وأكثر الرحلات شعبية هي رحلة "التراث الأندلسي" أو El legando Andalusi أو Mudejar Cultural Itinerary in America الذي يغطي مسارها كل الدول المذكورة أعلاه بالإضافة إلى البرتغال والمغرب لأنهما تأثرتا بالحضارة الأندلسية (Find El legado, 2006).

• الانضمام إلى المنظمات الدولية المعنية بالتراث العمراني: لقد قامت إسبانيا بالسعي لتوقيع بروتوكولات مع منظمات دولية مثل اليونسكو المنبثقة عن الأمم المتحدة بالإضافة إلى جهات أخرى للمشاركة في جهود الحفاظ على تراث المدجر سواء بالتمويل أو الدعم الفني من خلال البحث العلمي وإقامة فعاليات دولية لتوضيح أهمية عمارة المدجر وتميزها (Director General, 1996). وقد نجحت إسبانيا ودول أميركا الهيسبانية في عام ١٩٨٥م بضم العديد من مواقع عمارة المدجر لقائمة التراث العمراني العالمي (Flórez, 2002).

• تنظيم الفعاليات الدولية والمحلية: دأبت إسبانيا ودول أميركا الهيسبانية على تنظيم مهرجانات وفعاليات دولية لإظهار التراث المعماري في المدن التاريخية الأندلسية للعالم، فمثلا تم تنظيم دورة الألعاب الأولمبية الشتوية لعام ١٩٩٥م في مدينة غرناطة. ودورياً تقوم حكومات محلية في المكسيك وبيرو والولايات المتحدة الأميركية ممثلة ببلدياتها بتنظيم مناسبات ومسابقات اجتماعية ومهرجانات للتعريف بالنواحي المعمارية لمباني المدجر وجمع الأموال اللازمة لضمان استمرار هذه الفعاليات بشكل دوري (New Mexico, 2004).

• توثيق المواقع الأثرية والقيام بأبحاث متخصصة: في مدن مثل سان دياغو بأميركا وليما ببيرو تم تأسيس إدارة لتوثيق كل المواقع العمرانية التاريخية في المدينة أو المنطقة بعد القيام بمسوحات ورفع لكل هذه المواقع، وعمل تجارب مخبرية وحاسوبية لكل منشأة أو معلم اثري، وإتاحة قواعد المعلومات في متناول المواطنين (Perry, 1997). وعادة ما تقوم وزارة الثقافة وجهات أخرى بتشجيع الباحثين على القيام بأبحاث متعمقة على مباني المدجر لتحديد مثلا تاريخ بنائها وتوثيقها باستخدام تقنيات فنية عالية. كما أن هناك عدة جامعات في إسبانيا والمكسيك تمنح درجات بكالوريوس وماجستير ودكتوراه في تخصص الحفاظ على التراث الأندلسي (Flórez, 2002 و Mogollon, 2004).

• سن القوانين ووضع الخطط لحماية الآثار المعمارية: لقد عانت بعض مباني المدجر في إسبانيا ودول أميركا الهيسبانية الكثير من الإهمال والتدمير بسبب عوامل المناخ والزلازل والفيضانات والحروب الأهلية، لاسيما وان الغالبية من هذه المباني يتضمن مواد بناء حساسة مثل السيراميك أو الفسيفساء والخشب والآجرّ الذي يتآكل بسرعة مع تغير درجة الحرارة والصقيع، لذلك قامت حكومات هذه الدول بسن أنظمة واتخاذ الإجراءات اللازمة للحفاظ على

تلك المباني وتمكينها من الصمود أمام العوامل والكوارث الطبيعية والحروب بقدر الإمكان (New Mexico Commission, 2006).

• توعية المجتمع وتثقيفه: تركز بعض دول أميركا الهيسبانية مثل المكسيك على الأجيال الجديدة والأطفال بنشر ثقافة الحفاظ على التراث من خلال برامج مثل رحلات "اكتشاف مدن التراث الضائعة" Programa de Recuperacion de Puebles Abandonados التي تهدف إلى تعريف النشء الجديد بهذه المآثر. وتقوم بعض الهيئات بإصدار دوريات ومنشورات توعية عن التراث المحلي لاطلاع المجتمع على النواحي المعمارية والحضارية للمناطق الأثرية المحلية (Bevil, 1995).

• إقامة دورات وورش عمل حرفية: لتحقيق المزيد من الحفاظ على التراث المعماري الأندلسي في أميركا الهيسبانية تقدم العديد من الهيئات والمتاحف العامة والخاصة دورات وورش عمل في تقنيات وفنون البناء التقليدي كاستخدام الأجور الطين وزخرفته وأسقف الارتسونادو Artsonado الخشبية. وتدخل هذه النشاطات ضمن برنامج اسمه "الحفاظ على الحرف التقليدية" Escuelas Taller في بعض المدن المكسيكية والإسبانية والبيرو (Flórez, 2002).

• تشجيع الأهالي على تأسيس الجمعيات: تحرص كل من إسبانيا وأميركا والمكسيك وتشيلي على تشجيع سكان المدن التاريخية على تأسيس جمعيات وهيئات مدنية هدفها الحفاظ على التراث العمراني والوقوف ضد أي عمل قد يسيء إلى هذا التراث. في بعض الأحيان تقوم الجهات الرسمية المحلية بإيجاد مهام وتكليف بعض الأهالي للقيام بأعمال تطوعية لرعاية المنشآت التاريخية (Tucson Heritage, 1996 و Chula, 2005).

• تشجيع المعماريين للاقتباس من النمط المعماري التقليدي: لضمان استمرارية الشكل المعماري التقليدي، تقوم بعض الجهات الرسمية كالبلديات في مدن مثل صقوبيا وغرناطة بإسبانيا وكوسكو ببيرو بالإيعاز للمعماريين بتطبيق زخارف وتقنية ومواد البناء التراثي في مبانيهم الحديثة (Bevil, 1995). وفي سانديياغو بأميركا، تقوم البلدية بتشجيع تأسيس شركات متخصصة في الحفاظ على التراث المعماري الأندلسي وصيانته وترميمه مثل شركة ليجاسي Legacy 106 Inc. التي قامت بالعديد من مشاريع التوثيق والبحث التاريخي وصيانة العديد من مباني المدجر بالمدينة (Legacy 106, 2006).

• إعادة الاستخدام: إن إعادة استخدام المباني الأثرية بتحويلها إلى فنادق أو مطاعم أو متاحف أو مراكز أبحاث أو مقار جهات حكومية أمر شائع في إسبانيا ودول أميركا الهيسبانية. وهذا الشعور بضرورة بعث الحياة في المباني التاريخية الأندلسية يعود إلى مئات السنين. ففي عام ١٥٩٣م قام الملك فيليب الثاني بتكليف المهندس تباريكو سبانوشي Tiburcio Spanochi بإعداد مخططات لإعادة استخدام قصر الجعفرية الأندلسي في سرقسطة ككنيسة (Flórez, 2002). كذلك الأمر بالنسبة لمسجد قرطبة الذي يتواجد بداخله حاليا على الأقل ست كنائس تستخدم بكثافة بشكل شبه يومي. وقد يكون هذا التحويل في الاستخدام لأهداف أخرى ليس لها علاقة بالحفاظ على التراث المعماري. لكن وفي نهاية المطاف يعتبر هذان المبنيان رمزين للعمارة الأندلسية الحية.

الخلاصة

على الرغم من إنهاء الإسلام من إسبانيا العصور الوسطى، بقي الإسلام صامدا كثقافة قرون عديدة ليس في إسبانيا ذاتها، ولكن في العالم الجديد الذي حرصت إسبانيا على غرس كاثوليكتها فيه وبقوة غير مسبوقة عبر التاريخ. وتمثل هذا البقاء في نمط المدجر المعماري الذي نقله المسلمون المدجنون الأوائل هربا من بطش حكام إسبانيا الجدد إلى إسبانيا الجديدة، أميركا الهيسبانية، وقد انعكس هذا النمط في معظم المباني التي أقيمت في القرنين السادس عشر والسابع عشر في العالم الجديد في زخارف أو عناصر معمارية كالأسقف والمساقط والأبراج والفراغات المفتوحة لتلك المباني. وعمرانيا، ظهرت المدن أو المستوطنات الجديدة التي أقامها المستعمر الإسباني في تلك المناطق بنسيج عمراني مشابه لمدن الأندلس القديمة كغرناطة وقرطبة وغيرها. وقدر لهذا النمط الأندلسي النادر أن يبقى في ذلك العالم البعيد نتيجة جهود أتت متأخرة للحفاظ على هذا النمط والتي بدأت تؤتي ثمارها، الأمر الذي جعل هذا التراث إرثاً عالمياً للبشرية يفخر به أهالي تلك المناطق.

شكر

يود الباحث أن يشكر الدكتور جيمس كيراكوفي James Kiracofe من المعهد الأميركي للدراسات الثقافية المطورة في ولاية فيرجينيا بالولايات المتحدة الأميركية للسماح له باستخدام بعض الصور الخاصة بالمعهد في هذا البحث.

المراجع

أينامور أدو، بير خيليو مارتينيت .٢٠٠٤م. الادارسة والأمويين: تمخض دولتين في الغرب الإسلامي. معرض مثلث الأندلس. وزارة الثقافة، الرباط، ٥٥-٦٥.

بنعبود، محمد. ٢٠٠٤م. الحضارة الأندلسية بين الخصوصية والتراث الإنساني. معرض مثلث الأندلس. وزارة الثقافة، الرباط، ٣٨-٥١.

السويدان، خالد. ٢٠٠٦م. الأندلس التاريخ المصور، شركة الإبداع الفكري، الكويت.

كينتارد، كريستيرمازولي. ٢٠٠٤م. فضاءات عمرانية لمدن دمشق، فاس، قرطبة، القيروان، غرناطة، مراكش، واشبيلية (القرن ٧-١٥م). معرض مثلث الأندلس. وزارة الثقافة، الرباط، ١٣٧-١٤٩.

مظهر، علي. ١٩٣٠م. محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها. المكتبة العالمية، الفيوم.

Angulo Iniguez, Diego. 1932. Arquitectura mudejar sevillana de los siglos XIII, XIV, y XV (Sevillian Mudejar Architecture.) Universidad de Sevilla, Sevilla.

Arroquia, Carrlazo y. J. de M. 1998. Alcazar de Sevilla. S. D., Barcelone.

Arte Indocristiano: Pintura y Escultura en la Nueva Espania (Indocristiano Art: Painting and Sculpture in New Spain)**. 2007**. www.azulmaya.com, (visited 23/6/07).

Bevil, Alexander D. 1995. "Grecian Columns to Spanish Towers": The Development of San Diego State College, 1922-1953. *Journal of San Diego History* 41(1): 63-68.

Chueca Goita, Fernando. 1947. "Invariantes castizos de la arquitectura Espanola (Pure-blooded Invariants of Spanish Architecture"). *Editorial Dossat*, Madrid.

Chula Vista Bayfront Master Plan EIR 4.10 Cultural Resources. 2005. Report. Recon, Mexico.

Davies, Nigel. 1986. *Voyagers to the New World*. University of New Mexico Press.

Diccionario de la lengua Espanola (1992) *Dictionary of Spanish Language*. Real Academia Espanola, Madrid.

Didacta: Enciclopedia tematica. 1992. Grupo Libro 88, Madrid.

Director General of the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO.) 1996. El arte mudéjar en el mundo (Mudejar Art in the World). UNESCO, Geneva.

Enciclopedia de los Muicipios de Mexico Estado de Tlaxcala (Encyclopdedia of the Municipalities of Mexico.) 2007. www.e-local.gob.mx, (visited 2/2/07).

Fell, Barry. 1983. *Saga America*. Three Rivers Press, New York.

Fernandez, Maria Luisa. 1993. "Second Flowering": Art of the Mudejars. *Aramco World* 44(1): 26-38.

Find El legado andalusí. 2006. "Mudejar Cultural Itinerary in America", *www.legadoandalusi.es/legado_eng/contenido/itinerarios/mud*, (visited 12/11/06).

Flórez de la Colina, M. A. 2002. New Technologies for Safeguarding Cultural Heritage in Spain. Unpublished Research. Building Technology Department, Polytechnic University of Madrid, Madrid.

Interamerican Institute. 2000. Scattering Seeds from the Gardens of Allah. Unpublished Research, Virginia Commonwealth University, Virginia.

Irving, T. B. 1969. Arab Craftsmenship in Spain and in the Americas. The Arab World 15(9): 8-19.

King, George Goddard. 1927. Mudejar. Longmans, Green and Co., London.

Kulber, George, and Martin Soria. 1959. Art and Architecture of Spain and Portugal and Their American Dominions, 1500-1800. Penguin Books, Baltimore.

Legacy 106 Inc. 2006. Archaeology and Historic Preservation, San Diego, http://www.legacy106.com, (visited 12/11/06).

Lopez Guzman, Rafael. 1992. Arquitectura y Carpinteria Mudejar en Nueva Espana (Mudejar Architecture and Carpentering in New Spain). Grupo Azabache, Mexico.

Lunde, Paul. 1992. Muslims and Muslim Technology in the New World. ARAMCO World 43(3): 37-41.

Lunde, Paul. 1992. Art of the Mudejar. ARAMCO World 43(3): 62-65.

Lunde, Paul. 1992. The New World Through Arab Eyes. ARAMCO World 43(3): 27-31.

Markman, Sidney David. 1984. Architecture and Urbanism in Colonial Chiapas, Mexico. American Philosophical Society, Philadelphia.

McAndrew, John. 1965. The Open-Air Churches of Sixteenth Century Mexico. Harvard University Press, Cambridge, Mass.

Mogollon, P. and J. L. Ferrero. 2004. Study of Materlias in Mudejar Buildings from Extremadura, Spain. Unpublished Research. Department of History of the art, Extremandura University, Spain,.

Morales Martinez, A. J. 1996. Arte Mudejar en Andalucia. HKR Co., Saragossa.

Musulmanes en el Peru. 2007. www.espacioblog.com, (visited 23/6/07).

New Mexico Commission for Community Volunteerism. 2006. New Mexico Blueprint for Civic Engagement. New Mexico.

Perry, Richard. 1997. Blue Lakes and Silver Cities; The Colonial Arts and Architecture of West Mexico. Espadaña Press, Mexico City.

Pollio, Vitruvius. 1956. De Architectura: Vitruvius, on Architecture. (Translated by Frank Granger.) Cambridge University Press, Cambridge, Mass.

Reilly, Bernard F. 1993. The Medieval Spains. UP, Cambridge.

Torres Balbas, Leopoldo. 1971. Ciudades hispanomusulmanas (Hispanic-Muslim Cities.) Instituto Hispano-Arabe de Cultura, Madrid.

Toussaint, Manuel. 1946. Arte Mudejar en America. Porrua, Mexico City.

Trusted, Marjorie. 2007. The Arts of Spain: Iberia and Latin America 1450-1700. The Pennsylvania State University Press, University Park, PA.

Tucson Heritage Awareness and Education Program. 1996. A Leaflet Prepared for Third and Fourth Grade Students. Esperanza Elementary School, Tucson, AZ.

Wheatcroft, Andrew. 2003. Infidels: The Conflict between Christendom and Islam 638-2002. Penguin Books, London.

Received 17/1/1429; 26/1/2008, accepted 2 /5/1429; 7/5/2008